الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

Dialogue in the Noble Qur'an، its rules and etiquette

إعداد: د. فيصل بن محمد حسن

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

– كلية الدعوة وأصول الدين– جامعة أم القرى

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

ملخص البحث:

يهتم هذا البحث بدراسة قواعد الحوار عن طريق القرآن الكريم، محاولاً استنباط أهم القواعد الكلية التي تفيد في الحوار، مستفيداً من كتب المفسرين وما سطروه من نفائس تتعلق بالحوار، وقد جعلت البحث في تمهيد عرفت فيه بمصطلح الحوار، ويتبعه ثلاثة مباحث، المبحث الأول: قواعد الحوار في القرآن الكريم، وفيه أربع قواعد كل واحدة منها في مطلب: الأولى: الاهتمام بالقضايا الكلية المشتركة ومحاكمة الجزئيات إليها، الثانية: الالتزام بالبراهين، الثالثة: الموضوعية في الحوار، الرابعة: الاهتمام بالحجج العقلية، ثم المبحث الثاني بعنوان: آداب الحوار في القرآن الكريم، وفيه أربعة آداب كل واحد منها في مطلب، الأول: حسن التخاطب، الثاني: ترك التعصب المذموم، الثالث: التزام المحاور بما يدعو إليه، الرابع: العدل مع المخالف. أما المبحث الثالث: فقد عرضت فيه بعض الحوارات القرآنية مع أهم ما يستفاد منها، ثم ختمت البحث بجملة من النتائج والتوصيات، والله الموفق.

الكلمات المفتاحية: حوار – قواعد – آداب – القرآن الكريم.

Abstract

This research is interested in studying the rules of dialogue through the Holy Qur'an، trying to derive the most important general rules that are useful in dialogue، taking advantage of the books of commentators and the valuables they wrote related to dialogue. It is followed by three sections، the first topic: the rules of dialogue in the Holy Qur'an، and it contains four rules، each of which has a requirement: the first: attention to common universal issues and the trial of particulars to them، the second: adherence to evidence، third: objectivity in dialogue Fourth: Paying attention to rational arguments، then the second topic، entitled: The Etiquette of Dialogue in the Holy Qur'an، and it contains four etiquettes، each of which has a requirement. offender. As for the third topic: it presented some Qur'anic dialogues with the most important benefits from them، then concluded the research with a set of results and recommendations، and God bless.

Keywords: Dialogue - rules - etiquette - the Holy Qur'an.

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الناس مختلفين في طباعهم وصفاتهم وأهوائهم وكل شؤونهم، فهذه سنته في خلقه، وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار. ولما كان الناس كذلك، فإنهم محتاجون ولا بد إلى منهج عام للمفاهمة بينهم، وتبادل الثقافات والأفكار وتمييز صحيحها من سقيمها. ولا سيما مع كثرة الناس وتنوع حاجاتهم واختلاط الحق بالباطل في كثير من الأحيان. ومن معالم هذا المنهج أن يكون هناك حوار بين الناس يحقق لهم حياة مستقرة، وتعايشاً آمناً وإن اختلفت اتجاهاتهم. ولا منهج معصوم إلاّ منهج القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو الكتاب الخالد الذي فصل الله فيه كل ما يحتاجه الناس. وكان من جملة ما جاء في القرآن حوارات كثيرة بين أطراف متعددة منهم الموافق ومنهم المخالف، جاء على أنواع كثيرة، ونماذج متباينة ليجد كل إنسان بغيته في أي نوع من أنواع الحوارات شاء.

وقد أحببت أن أساهم بهذا البحث الموجز عن الحوار في القرآن الكريم لإثراء تخصص الثقافة الإسلامية، سائلا الله التوفيق والسداد.

مشكلة البحث: الحاجة إلى معرفة قواعد كلية في الحوار وآدابه عن طريق القرآن الكريم.

أهداف البحث:

١. المساهمة في إثراء تخصص الثقافة الإسلامية في جانب الحوار.
٢. بيان قواعد الحوار عن طريق القرآن الكريم.
٣. بيان آداب الحوار عن طريق القرآن الكريم.
٤. دراسة بعض الحوارات في القرآن الكريم واستنباط أهم فوائدها.

منهج البحث:

المنهج التحليلي: لدراسة النصوص القرآنية المتعلقة بالحوار وتحليلها.

المنهج الاستقرائي: لاستقراء النصوص القرآنية المتعلقة بالحوار.

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

الدراسات السابقة:

١. الحوار العقدي: (أهميته، أنواعه، وضوابطه)، للباحثة: شروق محمد الطشلان- جامعة الملك سعود، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية، المجلة ٤ ، العدد ٥، بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٢١، وهو بحث يهتم بالحوار العقدي، وبحثي يهتم بالحوار القرآني عموماً.

٢. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، د. صالح بن عبد الله بن حميد، بحث موجز عرض فيه المؤلف بعض أصول الحوار وآدابه بشكل عام، ولم يقتصر فيه على دراسة منهج القرآن الكريم في الحوار.

٣. الحوار: ضوابطه المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان، تحدث فيه عن منهجية الحوار وآدابه، ولم يعن بدراسة ما في القرآن الكريم.

خطة البحث: يتكون البحث من تمهيد عرفت فيه بمصطلح الحوار وما يقاربه من مصطلحات يتبعه ثلاثة مباحث هذا بيانها:

المبحث الأول: قواعد الحوار في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آداب الحوار في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: نماذج من حوارات القرآن الكريم.

سائلاً الله التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلح الحوار.

أولاً: تعريفه في اللغة.

أصله من مادة (حور)، ولها " ثلاثة أصول: أحدها: لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دوراً... وأما الرجوع فيقال حار إذا رجع. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [الانشقاق: ١٤] والعرب تقول: (الباطل في حور)، أي: رجع ونقص، وكل نقص ورجوع حور. .. والحور: مصدر حار حوراً: رجع. ويقال: (نعوذ بالله من الحور بعد الكور)، وهو النقصان بعد الزيادة.

ويقال: (حار بعد ما كار)، وتقول: كلمتُه فما رجع إلي حواراً وحواراً ومحورة وحويراً" [(١)].

وجاء في تاج العروس: "والحوار والحوار والحور الجواب" [(٢)] ، "والمحاورة والحوار الموارده في الكلام، ومنه التحاور" [(٣)]، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ [الكهف: ٣٧].

ويتبين مما سبق أن هذه المادة تعني المراجعة في الكلام.

ثانياً: تعريفه في الاصطلاح.

لا يختلف التعريف الاصطلاحي كثيراً عن التعريف اللغوي، لذا عرفه الزمزمي فقال: "مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين"[(١)]، وبمثله عرفه د. عبد الرحمن الملاحي في كتابه الحوار في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم[(٢)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.، (١١٦/٢)

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (١١٣/١١).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب -القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص (١٤٩).

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

وهناك مصطلحات أخرى لها تعلق بالحوار إلا أنها تختلف عنه ولكن يحسن التعريف بها لتكون الصورة أكثر شمولاً ووضوحاً، وهي:

أولاً: الجدال.

لغة: قال الراغب الأصفهاني: "الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من: جدلت الحبل، أي: أحكمت فتله .. ، وجدلت البناء: أحكمته، ...، ومنه: الجدال، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة" (٣)، وقال ابن فارس –رحمه الله– في تعريف الجدال: "امتداد الخصومة ومراجعة الكلام" (٤).

إصطلاحاً: قال الجرجاني: " الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة". (٥)

ثانياً: المناظرة.

لغة: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "المناظرة المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته، والنظر البحث وهو أعم من القياس لأن كل قياس نظر وليس كل نظر قياساً" (٦)

إصطلاحاً: قال الجرجاني: "هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب" (٧).

---

(١) آداب الحوار في ضوء القرآن والسنة، د. يحيى زمزمي، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة– منشورة على الشبكة، ص (٥).

(٢) انظر، ص (٢٩).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة، المؤلف / الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم

دار النشر / دار القلم . دمشق، (١/١٧٤).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (١/١٩٤).

(٥) الكتاب : التعريفات، المؤلف : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى : ٨١٦هـ)، ص (٢٤).

(٦) المفردات، للراغب الأصفهاني، ص (٤٩٨).

(٧) التعريفات، للجرجاني، ص (٧٦).

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

المبحث الأول: قواعد الحوار في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الاهتمام بالقضايا الكلية المشتركة ومحاكمة الجزئيات إليها

من الحكمة في الحوار أن يهتم المحاور بالانطلاق من القضايا الكلية المحكمة المشتركة، فإذا أقر بها الطرف الآخر صار بالإمكان أن يرد إليها المشتبهات ويحاكمها إليها. ومن صور هذه القاعدة ما جاء في معرض محاورة أهل الكتاب في سورة آل عمران، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]، ففي هذه الآية دعوة إلى "أصل الدين وروحه الذي اتفقت عليه دعوة الأنبياء، وهو سواء بين الفريقين، أي: عدل ووسط لا يرجح فيه طرف آخر، وقد فسره بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾[آل عمران:٦٤]. والمراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية، وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء"(١)، ومعنى هذا "أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد، والتصرف فيه لإله واحد، وهو خالقه ومدبره وهو الذي يعرفنا على ألسنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه. فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ورفض الشبهات التي تعرض لها، حتى إذا سلمنا أن فيما جاءكم من نبأ المسيح شيئا فيه لفظ ابن الله خرجناه جميعاً على وجه لا ينقض الأصل الثابت العام الذي اتفق عليه الأنبياء. فإن سلمنا أن المسيح قال إنه ابن الله، قلنا: هل فسر هذا القول بأنه إله يعبد؟ وهل دعا إلى عبادته وعبادة أمه أم كان يدعو إلى عبادة الله وحده؟ لا شك أنكم متفقون معنا على أنه كان يدعو إلى عبادة الله وحده والإخلاص له بالتصريح الذي لا يقبل التأويل" (٢).

ولذلك لما سأل فرعون موسى عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى، انطلق موسى عليه السلام في جوابه من تقرير القضية الكلية التي يصعب إنكارها، وهي مقتضيات الربوبية من الخلق والهداية، ولم يكتف بالمعرفة الفطرية التي يعرفها فرعون ويأبى إظهارها، التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴿١٤﴾﴾[النمل:١٤]، إذ سأل فرعون موسى وهارون عليهما السلام قائلاً: ﴿قال فمن ربُّكما ياموسى﴾[طه:٤٩]، فأجابه موسى عليه السلام قائلاً: ﴿قال ربُّنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقَه ثمَّ هدى﴾ [سورة طه:٥٠]، فهنا "**أجاب موسى بإثبات الربوبية لله لجميع الموجودات جريا على**

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، (٢٦٨/٣).

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

<u>قاعدة الاستدلال بالكلية على الجزئية إذ ينتظم من مجموعهما قياس، فإن فرعون من جملة الأشياء، فهو داخل في عموم كل شيء</u>" [(١)]، فهذه قاعدة قرآنية في الاحتجاج بالكليات لتكون أصلاً يسهل رد الجزئيات إليه.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾[العنكبوت:٤٦]، قال السعدي رحمه الله: "ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً. وأيضاً، فإن بناء مناظرة أهل الكتاب على هذا الطريق فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا من خصائص الإسلام"[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٣٢/١٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ص(٦٣٢).

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

المطلب الثاني: الالتزام بالبراهين.

يهتم القرآن في حواراته بالبراهين، فلا يقبل قولاً بلا برهان، وفي المقابل لا ينادي بشيء إلا وله ما يعضده من البراهين العقلية وغيرها. فلذلك كثيراً ما يحتج على المخالفين بعدم استنادهم إلى براهين يعضدون بها أقوالهم. ولما حكى عن اليهود والنصارى قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:١١١]

عقّب عليهم فجعل هذا القول من جملة الأماني التي لا تستند إلى حقائق، ثم علمنا أن نطالبهم بالدليل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وقوله: "{قل هاتوا برهانكم﴾ أمر بأن يجابوا بهذا، ولذلك فصله لأنه في سياق المحاورة ... وأتى بإن المفيدة للشك في صدقهم مع القطع بعدم الصدق؛ لاستدراجهم، حتى يعلموا أنهم غير صادقين حين يعجزون عن البرهان؛ لأن كل اعتقاد لا يقيم معتقِده دليلَ اعتقاده فهو اعتقاد كاذب؛ لأنه لو كان له دليل لاستطاع التعبير عنه، ومن باب أولى لا يكون صادقاً عند من يريد أن يروج عليه اعتقاده" (١).

وخاطب القرآن المشركين مطالباً إياهم البرهان الذي اعتمدوا عليه في اتخاذ آلهة أخرى مع الله عز وجل، قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء:٢٤]، فلما وصف حالهم أنهم اتخذوا آلهة من دون الله، قال لهم: ﴿هاتوا برهانكم﴾، أي: " حجتكم ودليلكم على صحة ما ذهبتم إليه، ولن يجدوا لذلك سبيلاً بل قد قامت الأدلة القطعية

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦٧٤/١).

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

على بطلانه، ولهذا قال: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾، أي: قد اتفقت الكتب والشرائع على صحة ما قلت لكم من إبطال الشرك، فهذا كتاب الله الذي فيه ذكر كل شيء، بأدلته العقلية والنقلية، وهذه الكتب السابقة كلها براهين وأدلة لما قلت.

ولما علم أنهم قامت عليهم الحجة والبرهان على بطلان ما ذهبوا إليه، علم أنه لا برهان لهم، لأن البرهان القاطع، يجزم أنه لا معارض له، وإلا لم يكن قطعيا، وإن وجد في معارضات، فإنها شبه لا تغني من الحق شيئاً.

وقوله: ﴿بل أَكْثَرهم لا يعلَمونَ الْحقَّ﴾ أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليداً لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم بالحق لخفائه وغموضه، وإنما ذلك، لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، لتبين لهم الحق من الباطل تبيناً واضحاً جلياً ولهذا قال: ﴿فَهم معرِضونَ﴾" [(١)].

وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية: ﴿سنرِيهِمْ آياتنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ حتَّى يتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحقُّ أَولَمْ يكْفِ بِربِّكَ أَنَّهُ علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد﴾ [فصلت:٥٣]، ولذلك أمرنا الله عز وجل أن نجاهد بهذا القرآن الكريم المشركين فقال: ﴿فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢]، ، والمعنى: جاهدهم "بالقرآن وما نزل إليك من الحق جِهاداً كَبِيراً، أي: لا يخالطه فتور، بأن تلزمهم بالحجج والآيات، وتدعوهم إلى النظر في سائر الآنات، لتتزلزل عقائدهم، وتسمج في أعينهم عوائدهم. وهذه الآية من أصرح الأدلة في وجوب

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص (٥٢١).

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

مجادلة المبطلين، ودعوتهم إلى الحق بقوة، والتفنن في محاجتهم بأفانين الأدلة. فإن الحق يتضح بالأدلة. كما أن الشهور تشتهر بالأهلّة" (١).

وكلما ازداد المحاور المسلم ارتباطاً بكتاب الله كلما عظمت حجته وسطع برهانه، لأن معه برهان خاتم النبيين الذي أمره الله أن يقارع به الكافرين، وهو برهان معصوم ﴿لاَ يأْتيه الْبَاطلُ من بيْن يَديْه ولاَ منْ خَلْفه تَنزيلٌ منْ حكيمٍ حميد﴾ [فصلت:٤٢].

المطلب الثالث: الموضوعية في الحوار.

إن من أبرز قواعد الحوار في القرآن الكريم تركيزه على الموضوعية في الحوار، وذلك بعدم الخروج عن القضية التي يجري فيها الحوار إلى قضايا هامشية لا يستفاد منها بل تنافي أحياناً هدف الحوار. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ما قص الله تعالى علينا من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، فهذا نوح عليه السلام لما دعا قومه إلى التوحيد فقال لهم: ﴿ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩]، لم يرد عليه قومه في دعوة التوحيد، وإنما خرجوا عن أصل الحوار وهاجموا شخصه فاتهموه بالضلال: ﴿قَالَ الْمَلأُ من قَوْمه إِنَّا لَنَرَاكَ في ضَلاَلٍ مُّبين﴾ [الأعراف:٦٠]، فاكتفى نوح عليه السلام ببيان أنه ليس به ضلالة ثم عاد يناقشهم في أصل القضية: ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:٦١-٦٣]، ومن الموضوعية أن يكون المحاور على استعداد تام للاستماع إلى حجج الطرف الآخر، ووضع ما عنده وما عند الآخر تحت مجهر الفحص والتدقيق، فأيهما ثبت أنه حق فهو أجدر بالاتباع، فإن ذلك يزيد من قبول الحق الذي عنده، ولا سيما إذا كان معه الحق الذي لا مرية فيه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ* قُل لاَ

(١) محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، (٤٣٢/٧).

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

تُسأَلُونَ عَمَّا أَجرمنا ولاَ نسأَل عمَّا تعملُون * قُل يجمع بيننا ربُّنا ثُمَّ يفتح بيننا بِالْحقِّ وهُو الْفَتَّاحُ الْعلِيم * قُلْ أَروني الَّذين أَلْحقْتُم بِه شُركَاء كَلاَّ بل هُو اللَّه الْعزِيزُ الْحكيم﴾ [سورة سبأ:٢٤-٢٧].

المطلب الرابع: الاهتمام بالحجج العقلية.

لما كان العقل هو الآلة العاملة في فهم الوحي، والقاعدة المشتركة بين الناس للفهم والتحاور والتحاكم، اهتم به القرآن أيما اهتمام وخاطبه في مواضع كثيرة يصعب حصرها، بدلالات متنوعة، وتصاريف عدة، وذلك أن الإنسان مهما أنكر من الأدلة السمعية، فإنه لا يمكن بحال أن ينكر الأدلة العقلية، فهو إما أن يسلم لها وينقاد، أو يكون في عداد غير العاقلين الأسوياء. ومن الأمثلة على ذلك ماجرى من حوار في ختام سورة يس مع المنكر للبعث لما جاء للنبي صلى الله عليه وسلم "في يده عظم إنسان رميم ففته وذراه في الريح وقال: يا محمد أتزعم أن الله يحيي هذا بعد ما أرم (أي بلي) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم" [(١)]، قال تعالى: ﴿وضرب لَنا مثَلاً ونَسِي خَلْقَه قَالَ من يحيِي الْعظَام وهِي رمِيم﴾ [سورة يس:٧٨]. فأجابه الله تعالى بستة أجوبة عقلية[(٢)].

الأول: قال له: ﴿قُلْ يحيِيها الَّذي أَنْشَأَها أَوَّل مرَّة﴾ وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علماً يقيناً لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون عليه، فإن إعادة الشيء أهون من ابتدائه.

الثاني: قوله: ﴿وهو بكل خلقٍ عليم﴾، وهو أن علم الله تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.

الثالث: إخراجه للضد من ضده، فقال: ﴿الَّذي جعل لَكُم من الشَّجرِ الأَخْضرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُم منْه تُوقدُون﴾، فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧٣/٢٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٦٩٩-٧٠٠).

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

الرابع: الاستدلال بالأولى على الأدنى، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ على سعتهما وعظمهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾أي: أن يعيدهم بأعيانهم . ﴿بَلَى﴾ قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

الخامس: الاستدلال بعموم الخلق، وهو ما يقر به المشركون، فقال: ﴿وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾، فهو تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، ولا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

السادس: الاستدلال بملكه سبحانه وتعالى، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ من غير امتراء ولا شك.

المبحث الثاني: آداب الحوار في القرآن الكريم.

إن الناظر في القرآن الكريم لا تخطئ عينه رقي الحوارات الواردة فيه وعلو أسلوبها، ولذلك فهو منهج عال في آداب الحوار لو التزمه الناس لقل الخلاف بينهم، ولكانت حواراتهم أكثر فائدة وأعظم نفعاً، وذلك أن الحوار إذا كان خالياً من الآداب فلن يؤتي ثماره، وكلمة الحق لا تقبل إذا لم يصحبها أدب. ومن هذه الآداب:

المطلب الاول: حسن التخاطب.

يأمر القرآن الكريم أتباعه دوماً بحسن الخطاب مع جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حسناً﴾ [سورة البقرة:٨٣]. فهو عموم يدخل فيه كل قول حسن، وشامل لكل أحد من الناس.

ولذلك كان الأنبياء عليهم السلام هم أولى الناس بالعمل بهذا الأدب، فإبراهيم عليه السلام لما كان يدعوا أباه إلى الإسلام ناداه بأعذب لفظ وأرق عبارة، وصار يكرر عليه في كل طلب قوله ﴿يا أبت﴾، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

عنك شيئًا * يأأبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا سويًّا * يأأبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا * يأأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا﴾ [سورة مريم:٤١-٤٥].

ونوح عليه السلام لما اتهمه قومه بالضلال فقالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين﴾ [سورة الأعراف:٦٠].

لم يزد على أن رد عليهم بقوله: ﴿قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [سورة الأعراف:٦١-٦٢].

ومثله هود عليه السلام اتهمه قومه بالسفاهة والكذب إذ قالوا: ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ [سورة الأعراف:٦٦].

لم يزد على أن رد عليهم بقوله: ﴿قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ [سورة الأعراف:٦٧-٦٨].

هذا منهج النبيين الذي دعا إليه القرآن وأمرنا بالاقتداء به، وفيه إحسان للمسيء وتعليمه لحسن الرد، واتقاء للنزول معه في منحدر الشتائم، ولذلك كان من أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه "لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح" (١).

ولما كان الحوار مظنة الإساءة في القول أمرنا الله تعالى في مقام الجدل أن نختار أحسن الكلام فقال، ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [سورة النحل:١٢٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ماجاء في خلق النبي صلى الله عليه وسلم، حديث (٢٠١٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

وأمرنا ألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٦]، أي: "بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع" [(١)].

ومن حسن التخاطب التلطف مع الطرف الآخر ليسهل قبوله للحق، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة سبأ:٢٤]. قال ابن عطية رحمه الله: "وقوله تعالى: وإنَّا أَو إِيَّاكُم تلطف في الدعوة والمحاورة، والمعنى كما تقول لمن خالفك في مسألة أحدنا يخطىء، أي: تثبت وتنبه، والمفهوم من كلامك أن مخالفك هو المخطئ"[(٢)].

المطلب الثاني: ترك التعصب المذموم.

وذلك أن التعصب يضعف قبول الحق لدى المحاور، بل يحول أحياناً دون قبوله، فالمشركون صدهم عن قبول الحق تعصبهم لآبائهم فقالوا: (﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وكان من جملة ما احتج به قوم شعيب في اعتراضهم على دعوة نبيهم أن قالوا: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً ذمه وتحريمه في دين الله : " اتخاذ أحوال رجل بعينه بمنزلة نصوص الشارع، ولا يلتفت إلي قول من سواه، بل ولا إلي نصوص الشرع إلا إذا وافقت نصوص قوله. فهذا والله هو الذي اجتمعت الأمة على أنه محرم في دين الله، ولم يظهر في الأمة إلا بعد انقراض القرون الفاضلة " [(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٦٣٢).

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية (٤١٩/٤)

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الجيل – بيروت، ١٩٧٣ تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، (٢٣٦/٢).

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

وإن مما يجب على المسلمين الحذر من التعصب لأقوال الرجال والإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويجب عليهم أن يكون المرد عند النزاع إلى الكتاب والسنة، فإنهما المعصومان من كل خطأ، وما عداهما عرضة للقبول والرد، قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذين آمنُوا أَطيعُوا اللَّه وأَطيعُوا الرَّسُول وأُولي الْأَمْر منكُمْ ۖ فَإن تَنَازَعْتُمْ في شَيْء فَرُدُّوه إلَى اللَّه والرَّسُول إن كُنتُم تُؤمنُون باللَّه والْيَوْم الْآخر ۚ ذَلكَ خَيْر وأَحسن تَأْويلًا﴾ [النساء: ٥٩]، "ولفظ (شيء) نكرة متوغلة في الإبهام فهو في حيز الشرط يفيد العموم، أي: في كل شيء، فيصدق بالتنازع في الخصومة على الحقوق، ويصدق بالتنازع في اختلاف الآراء عند المشاورة أو عند مباشرة عمل ما" (١).

المطلب الثالث: التزام المحاور بما يدعو إليه.

كلما كان المحاور عاملاً بما يدعو إليه كان ذلك أدعى لقبول الحق الذي عنده، وذلك أن الناس ينظرون إلى فعل الإنسان قبل قوله، فإن وافق قوله فعله سهل عليهم الانقياد له لعلمهم بقناعته الكاملة بما يقوله، وإذا رأوه مخالفاً كان ذلك سبباً للنفرة منه، ولذلك عاب الله تعالى على أهل الكتاب تناقض أقوالهم مع أفعالهم فقال: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ [سورة البقرة: ٤٤]، وبين هذا شعيب عليه السلام لقومه فقال: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ [هود: ٨٨].

وذم الله تعالى من فعل ذلك ذما شديداً فقال: ﴿يأَيُّها الَّذين آمَنوا لِم تَقُولُونَ ما لاَ تَفْعَلُون * كَبُرَ مَقْتًا عندَ اللَّه أَن تَقُولُوا ما لاَ تَفْعلُون ﴾ [سورة الصف:٢-٣].

ومن شواهد ذلك ما جاء في السنة المطهرة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشمَات وَالْمُسْتَوْشمَات وَالنَّامصَات وَالْمُتَنَمِّصَات وَالْمُتَفَلِّجَات للْحُسْن الْمُغَيِّرَات خَلْقَ اللَّه؛ قَالَ: فَبَلَغَ ذَلكَ امْرَأَةً من بَني أَسَد يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوب؛ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ فَأَتَتْه فَقَالَتْ: مَا حَديثٌ بَلَغَني عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشمَات وَالْمُسْتَوْشمَات وَالْمُتَنَمِّصَات وَالْمُتَفَلِّجَات للْحُسْن الْمُغَيِّرَات خَلْقَ اللَّه؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّه: وَمَا لي لَا أَلْعَنُ من لَعَنَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ في كتَاب اللَّه؛ فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَي الْمُصْحَف فَمَا وَجَدْتُهُ؛ فَقَالَ: لَئن كُنْتَ قَرَأْتيه لَقَدْ وَجَدْتيه، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾، فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: فَإنِّي أَرَى

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩٩/٥).

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

شَيْئًا منْ هذَا علَى امرأَتك الْآن؛ قَال: اذْهبي فَانْظُري قَال: فَدخَلَت علَى امرأَة عبْد اللَّه فَلَم تر شَيْئًا فَجاءَت إِلَيه فَقَالَت: ما رأَيْت شَيْئًا فَقَال: أَما لَو كَان ذَلك لَم نُجامعها)[(١)].

المطلب الرابع: العدل مع المخالف.

لما كان المخالف مظنة عدم العدل معه، فإن الله حذرنا من ذلك، لئلا ننساق وراء الأهواء فنظلم الناس، فإن الإنسان خلق ظلوماً جهولاً. يقول الله تعالى: ﴿يا أَيُّها الذين آمنوا كُونوا قَوَّامين بالْقسْط شُهَداء لله ولَو علَى أَنفُسكُم أَوِ الْوالدَين والأَقْربين إِن يكُن غنيًّا أَو فَقيرا فَالله أَولَى بهما فَلا تَتَّبعوا الْهوى أَن تَعْدلُوا وإِن تَلْووا أَو تُعْرضُوا فَإِنَّ الله كَان بما تَعملُون خبيرا﴾ [سورة النساء:١٣٥]. قال السعدي رحمه الله: "ومن أعظم أنواع القسط، القسط في المقالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان، حتى على الأحباب بل على النفس، ... والقيام بالقسط من أعظم الأمور وأدل على دين القائم به، وورعه ومقامه في الإسلام، فيتعين على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام، وأن يجعله نصب عينيه، ومحل إرادته، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو العمل به.

وأعظم عائق لذلك اتباع الهوى، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: ﴿فَلا تَتَّبعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدلُوا﴾، أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم.

ولما بيَّن أن الواجب القيام بالقسط نهى عن ما يضاد ذلك، وهو لي اللسان عن الحق في الشهادات وغيرها، وتحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه" [(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، حديث رقم (٤٨٨٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص (٢٠٨).

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

المبحث الثالث: نماذج من حوارات القرآن الكريم

مما يميز القرآن الكريم كثرة الحوارات الواردة فيها وتنوعها، ففيها الحوار للموافق والمخالف، وللصديق والعدو، و للفرد والجماعة إلى غير ذلك، وسأعرض بعضاً من حوارات الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، فإن كثيراً من مادة الحوار في القرآن الكريم هي من هذا النوع، ولذلك نجد طوال السور زاخرة بهذا النوع من الحوار، كسور البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، فهذه السبع الطوال فيها مادة كبيرة من حوارات الأنبياء مع أقوامهم. وسأذكر نموذجين من هذه الحوارات.

أولاً: حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [سورة مريم:٤١-٤٨].

وفيه جملة من الفوائد الحوارية:

١. أدب إبراهيم عليه السلام في مخاطبته أباه وتصديره كل جملة بقوله: ﴿يا أبت﴾.

٢. اهتمام إبراهيم عليه السلام بالحجج العقلية، فلذلك قال لأبيه: "لم تعبد أصناماً، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعابدها نفعا ولا ضراً، بل لا تملك لأنفسها شيئاً من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلاً وشرعاً" (١).

٣. الرحمة بالطرف الآخر، وهذا ظاهر في الحوار كله، وصرح به فقال: ﴿إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾.

٤. التدرج في الخطاب، لأنه أجدر في قبول المخالف، وأيسر في الولوج إلى قلبه، لذا "تدرج الخليل عليه السلام بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنك إن أطعتني،

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص (٤٩٤).

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

اهتديت إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون وليا للشيطان"[١].

٥. مقابلة السيئة بالحسنة، وذلك أنَّ أبا إبراهيم لما هدده بالرجم والهجر، كان جواب إبراهيم عليه السلام هو الجواب الذي يليق بالنبيين إذ قال له : ﴿سلام عليك﴾ ثم زاد درجة في الفضل بأن وعده بالاستغفار له فقال: ﴿سأستغفر لك ربي﴾. وفي هذا تهيئة للدعاة أجمعين بأن دعوتهم قد يردها أقرب قريب، وأنهم قد ينالهم الأذى، فإن صفوة الخلق قد نالهم ذلك، فما زادهم إلا حكمة في سلوك الطريق الأقوم للدعوة إلى الله.

ثانياً: حوار يوسف عليه السلام مع الفتيين في السجن.

قال الله تعالى: ﴿ودخل معه السّجن فتيان قال أحدهمآ إنّي أرانني أعصر خمرا وقال الآخر إنّي أرانني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطّير منه نبئنا بتأويله إنّا نراك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلاّ نبّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما ممّا علّمني ربّي إنّي تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتّبعت ملّة آبآئي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نّشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى النّاس ولكنّ أكثر النّاس لا يشكرون * ياصاحبي السّجن أأرباب متّفرّقون خير أم الله الواحد القهّار * ما تعبدون من دونه إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم وآبآؤكم ممّا أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلاّ لله أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون * ياصاحبي السّجن أمّا أحدكما فيسقي ربّه خمرا وأمّا الآخر فيصلب فتأكل الطّير من رّأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ [سورة يوسف:٣٦-٤١].

ويستفاد من هذا الحوار عدة فوائد:

١. عرض المحاور لما عنده من مؤهلات وقدرات ليكون ذلك أدعى لقبول الحق الذي عنده، قال ابن عاشور رحمه الله: "وجملة ذلكما مما علمني ربي استئناف بياني، لأن وعده بتأويل الرؤيا في وقت قريب يثير عجب السائلين عن قوة علمه وعن الطريقة التي حصل بها هذا العلم، فيجيب بأن ذلك مما علمه الله، تخلصاً إلى دعوتهما للإيمان بإله واحد. وكان القبط مشركين يدينون بتعدد الآلهة.

---

١ المرجع نفسه، ص (٤٩٥).

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

وقوله: مما علمني ربي إيذان بأنه علمه علوماً أخرى، وهي علوم الشريعة والحكمة والاقتصاد والأمانة كما قال: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" (١).

٢. استثمار المناسبات في الدعوة إلى الله، وعرض القضايا الكلية للإيمان، فإن الفتيين لما سألا يوسف عليه السلام عن الرؤيا، لم يعبر لهما الرؤيا حتى دعاهما إلى التوحيد.

٣. حسن مخاطبة يوسف عليه السلام للفتيين بقوله: ﴿يا صاحبي السجن﴾، "وعبر عنهما بوصف الصحبة في السجن دون اسميهما إما لجهل اسميهما عنده إذ كانا قد دخلا السجن معه في تلك الساعة قبل أن تطول المعاشرة بينهما وبينه، وإما للإيذان بما حدث من الصلة بينهما وهي صلة المماثلة في الضراء الإلف في الوحشة، فإن الموافقة في الأحوال صلة تقوم مقام صلة القرابة أو تفوقها" (٢).

٤. حسن التلميح للقضايا المعروضة، والاكتفاء به عن التصريح في بعض المقامات، وذلك أن يوسف عليه السلام قال لهما: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨﴾، "وفي هذا من الترغيب للطريق التي هو عليها ما لا يخفى، فإن الفتيين لما تقرر عنده أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال -وأنه محسن معلم- ذكر لهما أن هذه الحالة التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، إذ منَّ عليَّ بترك الشرك وباتباع ملة آبائه، فبهذا وصلت إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت" (٣).

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧١/١٢).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧٤/١٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص (٣٩٨).

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

٥. البدء بالأولويات، إذ بدأ يوسف عليه السلام بالدعوة إلى التوحيد قبل تعبير الرؤيا، اهتماماً منه بقضيته الرسالية في الدعوة إلى توحيد الله.

٦. الاهتمام بالحجج العقلية في الحوار، وهذا ظاهر في سؤال يوسف عليه السلام للفتيين عن أربابهم، إذ قال لهما: " أن تكون لكما أرباب شتى، يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية، بل هو الْقَهَّار الغالب، وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام. (ما تعبدون) خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر إلا أسماء يعنى أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة، ثم طفقتم تعبدونها، فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها. ومعنى سمَّيتموها سميتم بها" (١).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض ا لتنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، (٤٧١/٢).

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فهذه أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج.

- أن الحوار مصطلح أعم من الجدال ولا يصاحبه خصومة.
- الحوار يكون مع الموافق والمخالف، عكس الجدال.
- انطلاق المحاور من المسائل والقواعد الرئيسية المشتركة يسهل عليه تقريب وجهات النظر.
- تنوع أساليب الحوار في القرآن ما بين أساليب عقلية وسمعية وعاطفية بحسب الحال التي يكون فيها المتحاورون.
- حوارات الأنبياء مع أقوامهم منجم غني بالحكم والآداب الحوارية.

ثانياً: أهم التوصيات.

- العناية بتربية الأجيال على ثقافة الحوار وبناء الملكة النقدية لديهم ليسهل عليهم الحفاظ على هوياتهم من عوامل الانحراف.
- ضرورة وجود مواد دراسية تعنى بهذا الجانب، يصاحبها تطبيقات عملية تسهل غرس ثقافة الحوار.
- توجد دراسات كثيرة عن الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولكنها في حاجة إلى من يصوغ منها مواد تدريبية تسهل نقلها بين عامة الناس وتربيتهم عليها.

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

المراجع:

- القرآن الكريم.

١. آداب الحوار في ضوء القرآن والسنة، د. يحيى زمزمي، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة- منشورة على الشبكة.

٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.

٣. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٥. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٦. التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب -القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

٧. التعريفات، المؤلف : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى : ٨١٦هـ).

٨. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

- **الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه**

١٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

١١. محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

١٢. مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة، المؤلف / الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار النشر / دار القلم . دمشق.

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

References

- The Holy Qur'an.

2. The etiquette of dialogue in the light of the Qur'an and Sunnah، D. Yahya Zamzami، Master's thesis at Umm Al-Qura University، Department of the Book and the Sunnah - published online.

3.Informing the signatories on the authority of the Lord of the Worlds، author: Mohammed Bin Abi Bakr Ayoub Al-Zar'i Abu Abdullah، publisher: Dar Al-Jeel - Beirut، 1973، investigation: Taha Abdel-Raouf Saad.

4. The Sea Ocean in Interpretation، Author: Abu Hayyan Mohammed Bin Yusuf Bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi (died: 745H)، Investigator: Sidqi Mohammed Jamil، Publisher: Dar Al-Fikr - Beirut، Edition: 1420 H

5. Taj Alearus min Jawahir Alqamus author: Mohammed Bin Mohammed Bin Abdul Razzaq Al-Hussaini، Abu Al-Fayd، nicknamed Murtada، Al-Zubaidi (died: 1205 H)، Investigator: A group of investigators، publisher: Dar Al-Hedaya.

6. Liberation and Enlightenment "Editing the Right Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book"، author: Mohammed Al-Taher Bin Mohammed Bin Mohammed Al-Taher Bin Ashour Al-Tunisi (died: 1393H)، publisher: Tunisian House of Publishing - Tunisia، Publication year: 1984.

7. Detention on Definitions Tasks، Author: Zain al-Din Mohammed، called Abd al-Raouf Bin Taj al-Arefin Bin Ali Bin Zain al-Abidin al-Hadadi، then al-Manawi al-Qaheri (died: 1031 H)، publisher: World of Books - Cairo، Edition: First، 1410 H-1990.

8. Definitions، author: Ali Bin Mohammed Bin Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jurjani (died: 816H).

9. Interpretation of the Wise Qur'an (Interpretation of Al-Manar)، author: Mohammed Rashid Bin Ali Reda Bin Mohammed Shams Al-Din Bin Mohammed Bahaa Al-Din Bin Manla Ali Khalifa Al-Qalamuni Al-Husseini (died: 1354H)، publisher: The Egyptian General Book Authority، Publication year: 1990.

10. Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of the words of Al-Mannan، the author: Abdul Rahman Bin Nasser Bin Abdullah Al-Saadi (died: 1376H)، the investigator: Abdul Rahman Bin Mualla Al-Luhaiq، Publisher: Al-Risala Foundation، Edition: First 1420H -2000.

- الحوار في القرآن الكريم، قواعده وآدابه

11.The Discovery of the Mysterious Truths of Download، Author: Abu al-Qasim Mahmoud Bin Amro Bin Ahmed، Al-Zamakhshari Jarallah (died: 538H)، publisher: Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut، Edition: Third - 1407H.

12.The merits of interpretation، the author: Mohammed Jamal Al-Din Bin Mohammed Saeed Bin Qasim Al-Hallaq Al-Qasimi (died: 1332H)، the investigator: Mohammed Basil Oyoun Al-Soud، Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut، Edition: First – 1418H.

13.The Vocabulary of the Qur’an’s Words - Verified Version، Author / Al-Hussein Bin Mohammed bin Al-Mufaddal، known as Raghib Al-Asfahani Abu Al-Qasim، Publishing House / Dar Al-Qalam - Damascus.